

الأمينة

طائفة الارمن الكاثوليك

نبذة تاريخية للاب لويس شيخو اليسوعي

أصبحت الطائفة الارمنية الكاثوليكية في غرة أيار الماضي بن كان لأمتهم فخرًا وعضدًا. وللوطن العزيز عزًا ومجدًا. المثلث الرحمة السيد اسطغان بطرس غازاريان. صاحب السجايا الفريدة والصفات الحسان. فبقده انجحت العبرات. وتساعدت الزفات. لكن الله برحمته اسرع فاقام لكنيسة الارمن الكاثوليك المترمة ابا ورأسًا. يكون حرافه الامينة راعياً وللمعاج الضالّة نبهاسًا. ألا وهو السيد الجليل العالم العامل. ذو القبطة والفضل الكامل. البطريرك بوغوص عثمانويان. الذي قام أدلى خلف خير سلف فاحرز له باقرب آن. مع حب انباء ملته رضى امام الاحبار وثقة مولانا السلطان. فرأينا ان تنتهز هذه الفرصة اللانقة. لتطلع قراءنا على بعض اخبار كاثوليك الارمن الشائقة

١

ان للشعب الارمني تواريخ عديدة يرتقي عهد بعضها الى القرن الرابع للسيح صنفها قوم من مشاهير الكتبة في اليونانية اولًا ثم في الارمنية وقد نشر اكثرها بالطبع في عراصم اردية خصوصاً فينة والبنديّة وباريس فمن اجال النظر في هذه التأليف القديمة وجد ان الله عز وجل اختص الارمن بتناقب جلية قدرها خبير. ومعلمها في النفوس اثير. تحمل اصحابها على عظام الامور فمن ذلك عقابهم الثاقب ونشاطهم على العمل وحزمهم في ادراك الغايات وصبرهم على المشقات والعناء الى غير ذلك من الجلال الطيبة التي طبع عليها كبار الشعوب

وفي العشر الثاني من القرن الرابع قبض الله احد اوليائه القديسين وهو غريغوريوس اسقف قيسارية فجعله للارمن رسولا يدعوهم الى سبيل الايمان فلبوا دعاءه ولم يماندوا الحق بل تقاطروا زرافات الى حجير الكنيسة يتقدمهم ملكهم درطاد بعد جموعه. ومنذ ذلك الحين تقانس عن رؤوسهم ظل الايام وانحلت عن قوائم عقولهم عُقل الادهام. وما مر على الارمن نصف قرن حتى زهت النصرانية في ظهر انبيهم وصارت حبة الخردل في تلك التربة الجيدة كشجرة باسقة الاغصان سائمة الاثنان تفيأت بظلمها طيور السماء. وكان القديس غريغوريوس المنور ثبت الكنيسة الارمنية على الصفاة البطرسيّة لثلاث تشود عليها ثوايز الانوا. وتفض اركانها سيول الاضاليل

وقام بعد القديس غريغوريوس قديسون افاضل من سلالة استورا على كرسيه البطريركي ورضوا دعائم الايمان الصحيح. وقد اشتهر منهم القديس نرسيس (٣٧٠-٤٠٤) والقديس اسحق (٤١٦-٤٦٢) وكلاهما يعرف بالكبير. فانها نصبا راية الفضائل وقاوما المراطقة والشركين وجاهدا الجهاد الحسن في سبيل الحق الى ان ارتقا شعب الرب في مراعي الخلاص الحصبة ولبنا به الى احسن حالة من الحضارة والتمدن

وفي ايام القديس اسحاق المذكور اخذ الارمن بتدوين لغتهم باحرف خصوصية وضمها لهم القديس سرورب الشهيد فعم استعملها بامر الملك بيرام سابور كل بلاد الارمن. واخذ مشاهير الكتبة منهم يتلون من اللغات اليونانية والسيرانية والنارسية كتباً كثيرة انتشرت بين الارمن فقوت في قلوبهم شمانر الايمان واتارت من بقي من عبدة الاصنام بضا. الحق اللامعة

ولم تزل الكنيسة الارمنية في تاه وازدهار تسر قلب الله بثمارها اليائمة يرأس عليها البطاركة القضاة المرتبطون مع امام الاحبار وخليفة بطرس بوحدة الايمان ووثاق الطاعة حتى قام البطريرك الحادي والعشرون سنة ٥٥٠ للمسيح وهو نرسيس اشدارغستي فاستحوذ عليه شيطان الضلال فورطه في التروو وحال بينه وبين الاثابة. فاتبع شيعة اوطيخا وانكر ان في المسيح طبيعتين كاملتين غير متمزجتين وخلع ربة الطاعة للمجمع الخلقيدوني ولرئيس الكنيسة الاعظم الحبر الروماني. ولم يكف ان يضل عن سوا. السبل بل استمال شعبه واستغوى الارمن فتبعوه في تشيعة وامتد عليهم رواق الفساد

والجهل كما هر شأن الكنائس المنفصلة عن البيعة الرومانية أم الكنائس وميلتها جميعاً .
وقد عاقب الله بطاركة الارمن بعد انفصالهم عن الكنيسة بان اقام لهم من يادهم في
سلطتهم فانقسمت البطريركية الى خمسة اقسام يتولى امر كل قسم بطريرك مستقل .
وهذه اسما البطريركات المنوّه بها : اچياطين في روسية ولبطيركها رتبة الشرف ثم
الاساتنة ثم القدس الشريف ثم سيس في قيليقية ثم اغتار عند مجيئة وان

٢

ألا ان الله لم يسهل الارمن تماماً وانما اسبقني له بينهم في كل آن قوماً لم يحنوا
بركهم امام العمل . بل ربما تحمّز بطاركة الارمن انفسهم فحاولوا في توالي الاعصار
الانضمام الى الكنيسة البطريركية . فانه لم يمر على انشقاقهم ثمانون سنة حتى ارعوى
بطريركهم عزرا عن غي الاضاليل اليعقوبية بعد انتصار هرقل على القرس
ثم عاد بطاركة الارمن بعد مئة سنة قضاها في الاعتقاد المقيم الى مزاعم اليعاقبة
وامهم في لججها البطريرك الدخيل (١) حناً اذزنتي (٧١٨ - ٧٢٩) فبقي الشعب
الارمني متكماً في ظلام المرطقة الى اواسط القرن التاسع فالتحدوا ثانية مع الكرسي
الرسولي . وتعلّبت بعد ذلك الاحوال بالارمن فكان بطاركتهم حيناً بعد حين يتنادون
الى الضلال ثم يتسبون للحق فيتمسبون آثار اجدادهم القديسين وينضوون الى كنيسة
ردمية تخص منهم بالذكر بطاركة القرن الثاني عشر والثالث عشر على عهد الصليبيين
ربما ساعد على حفظ رديمة الايمان في قسم كبير من امة الارمن دخول الرهبان
الفرنسيين والدومينيكين في بلاد قيليقية وفلاحتهم لكرم الرب بنيرة ونشاط . وبلغ
الاسقف الدومينيكي برتلي الى ان ينشئ بين الارمن سنة ١٣٣٣ رهبانية كان
اعضائها يتبعون رسوم القديس دومينيك وهم يحافظون على الطقوس الارمنية . فكان
لهؤلاء الرهبان فضل كبير في نشر الايمان القويم بين الشعب الارمني . ثم توثقت بعدئذ
عرى الوحدة بين الارمن والكنيسة الرومانية في المجمع الفلورنتيني (١٤٣٩)

وكان الشيطان ابي الا ان يزرع الزوان في الكنيسة الارمنية ليفصلها عن مركز
الرئاسة فانه خزاه الله اضرم نار الفتنة في قلوب بعض الاساقفة فانفصاوا عن بطاركتهم

(١) راجع تاريخ بطاركة الارمن بالقرنية لحضرة الاب الفاضل ع . فريه اليسوعي (ص

الشرعيين وجعلوا لهم بطركاً متبداً ثم تعددت بمدن البطريركيات حتى بلغت الخمس عدداً كما ذكرنا وكان ذلك من اقوى الوسائل لنشر الشقاق واستفحال التشيع. على ان نور الحق لم ينطفى في اعين هؤلاء ارباب الدين وزعماء الطوائف كما تشهد على ذلك مساهرات ايمان كثيرين منهم ارسلوها الى رومة وهي مفعمة من النشاء على كنيسته بطرس يقر اصحابها بمل سلطان الاجبار الرومانيين على كنائس الدنيا قاطبة. غير ان الباباوات ملوا اخيراً من هذا التلذذ الدائم والتنقل بين المسيح والبعث بين اليقين والباطل ففضلوا كرسي البطريركية الكاثوليكية عن بية الكراسي المنفصلة فدخلت منذ ذلك الحين الكنيسته الارمنية في طور جديد وصارت احدى الطوائف الشرقية المتحددة التي تهيج بيمة الله بانمارها الصالحة واعمالها المبرورة

٣

وكان بدء هذه الحركة في اوائل القرن الثامن عشر. وذلك ان بطريرك القسطنطينية الارمني المدعو افرام اذ رأى ما حازته الكتلثة من النجاح على يد المرسلين اللاتينيين في جهات المشرق وبين ابناء جلده اثار عليهم حرباً عواناً كادت تكون الضربة القاضية على الكتلثة لولا ان الله نجي اصفياه من ايدي منتصيين واقام خلاصهم رجلاً زينه بكل الصفات الحسنة والناقب الفريدة وهو ابراهيم ارزيثيان اول بطاركة قياية على الارمن الكاثوليك بعد انفصالهم عن الغريغوريين

ولد ابراهيم المذكور (١) في مدينة عينتاب سنة ١٦٧٩ من والدين كاثوليكين وانكب منذ نعومة اظفاره على درس العقائد الدينية ورحل الى ماردين ليأخذ عن اسقفا الشهير ملكون طازباز تلميذ المدرسة الاربانية وشهيد الايمان علم اللاهوت. فلما اتقنه وتخرج بجميع الآداب الكنيسته رجع بعد ست سنوات الى بلده فاختره بطرس بيساغ بطريرك سيس على الارمن ككاتم لاسراره ورسه كاهناً سنة ١٧٠٦. ثم لقي في ابراهيم من التقى وحسن التدبير ما حمله على تقليده وتبته ورتبت المناسبة لمنصب الخورفمقوس في غير الكنيسته الارمنية فأظهر من الفيرة المنظرمة في خلاص النفوس ما حبه الى جميع المؤمنين. وكان البطريرك بطرس منتسباً الى رومية مطيعاً

(١) راجع ترجمته المبروعة في القاهرة بالاطبالية سنة ١٨٦١ *Biografia* (S. Davidian ;

لاجارها فُسراً لما وجده في ابراهيم من التعلق بالكرسي الرسولي. ولما تزلزلت كنيسته حلب برفاة اسقفا الارمني سنة ١٧١٠ اسرع البطريرك وسقف ابراهيم عليها بعل. رضى الاكليروس والشعب مما وتتمت حفلة تنصيبه في الشهباء بأبهة عظيمة رفعت شأن الديانة الكاثوليكية في اعين كل الحضور. وما لبث ابراهيم ان حثت آمال البطريرك فيه فانه بعد ان ثبت رعيته في الايمان القويم شرع يجد ويجتهد في رد الضالين فكان لكلامه احسن وقع في قلوبهم وعاد كثيرون على يده الى سبيل الهدى حتى صار اسمه مرادفاً لتبصير الايمان الكاثوليكي

الأنا البطريرك افرايم السابق ذكره امتعض اي امتماض لما وقف على نجاح الكاثوليك فسمى بهلاكهم واضطرب البطريرك بطرس يساغ الى ان يسير الى بلاد المجمع سنة ١٧١٢. اما مطران حلب فثابت محن وبلايا يطول شرحها. لكنه امكن في آخر الامر ان يرجع الى ابرشيته وبشر بالايمان في طريقه باماكن عديدة وجذب الى الكنائس قوماً من جلة الارمن بينهم اساقفة وكهنة وشيخ كنانس كثيرة. وعاد الى حلب فاستقبله الشعب بفرح عظيم فصار يرعى ثمانية شعوب بكل هيئة الى ان قام عليه اخصامه ثمانية فنفي من حلب الى جزيرة ارداد بقرب طرابلس حيث بقي الى سنة ١٧٢٢. ثم سعى سفير ملك فوننة لدى الصدارة العظمى وعسكر من تبرنة ساحة ابراهيم ولكن لم يُسمح له بالعود الى حلب. فلذا الطريد بحماية حاكم كروان الشيخ ابي نادر ظاهر الخازن. فرتب الشيخ المذكور وطرده المواندة وكل اهل لبنان بتبصير الايمان الكاثوليكي واكرموا مشواه حيثما تولى ربي له الشيخ ابو نادر ديراً على اسم الخليل بجوار قرية غسطل في محل يعرف بالكريم ووهب اياه مع املاك واسعة اوقفها على الدير وبقي هناك مع بعض الكهنة الامناء الى سنة ١٧١٠ وهو راخي البال حليف الدعة والطباينة يكاتب اهل الايمان ويثبتهم برسالاته

وكان كثيرون من الارمن يقدمون عليه ليستشيروه ويستيروا بتعاليمهم ومنهم من سكنوا معه بعد ان جحدوا بين يديه اضاليل الهرطقة كالسيد اسطفان الحلبي اسقف دمشق والسيد سرجيوس القسطنطيني وغيرهما. حتى بلغ عدد تلامذة المطران ابراهيم في سنة ١٧٢٨ خمسة وثلاثين شخصاً وكانوا يعيشون في دير الكريم عيشة الفك



دير السيدة المذراء للارمن الكاثوليك في برمار

ويتبعون قانون القديس اخونوريوس الكبير. وهكذا ابتدأت الرهبانية الاطوية
عند الارمن الكاثوليك

وفي تلك الاثناء التأم اساقفة الطائفة المارونية في دير الاريزة وتمّ الجمع اللبناني
الشهير فحضره المطران ابراهيم وامضى قوانينه برسومته يده (١)

ولما كانت اواخر سنة ١٧٣٩ نحدت نيران الاضطهاد فتكّن السيد ابراهيم من
الرجوع الى كرسية في حلب فنال بموده من الاكرام ما انساه ارجاعه السابقة وذاع
صيت فضائله في كل الجهات. ولما توفي لونا بطريرك الارمن في سيس اجتمع الاساقفة
فاختاروا مطران حلب ليقوم مقامه في كرسى البطريركية وسقّوا على حلب يعقوب تليد
ابراهيم ورفيقه في جهاده عن الايمان

فكان اول شي. ففكر فيه البطريرك المختار ان يرسل الى امّ المدائن ليقدم
للاجبار الرومانيين فروض الطاعة فدخل رومة في منتصف آب سنة ١٧٤٢ وتلقاه

(١) راجع الجمع اللبناني الصفحة ٣٨٢ من الطبعة اللاتينية

بنديكتس الرابع عشر بما لا يزيد عليه من الحفاوة والسرور وقأدهُ في ٨ كانون الاول من السنة ذاتها درع الرئاسة. وسلطهُ على كل كاثوليك المشرق الأارمن الاساتنة فأنهُ وكل ارهم الى تصأده الرسولين ودعا البطريرك ابراهيم بطريرك قيلقية والارمن. فاراد ابراهيم ان يُعلن بشكره الحميم لامام الاحبار قسسى حيفنذ بيطرس الاول وحتم بان يتخذ خلفاؤه هذا الاسم بدهُ ليكون ضامناً لخلوص ايمانهم وعربوناً عن تعلّمهم بكروسي هامة الرسل. ثم اعطى الخبرُ الروماني البطريرك الجديد رسالات لفنارات الدول في الاساتنة ليعضدوه في مساعيه لدى الباب العالي

وكان البطريرك ابراهيم في مدة اقامته في المدينة المقدسة تعرف بالكردينال ياركا (Beluca) وقت مرضه الاخير فكتب هذا في وصيته ان تُعطى للبطركية صورة جمية من نقش المصور الشهير واقايل كانت تملّ العذراء ام الاحزان وكان الكردينال يدها كاعظم كنوز بلاطه ويكرّمها اكراماً جزيلاً هو وحاشيته بل كان اهل رومة يلتجئون الى حمايتها في بلاياهم. تسلّمها البطريرك بعد موت الكردينال من يد البابا بنديكتس لتكون له عروناً وملاذاً في صروف الدهر. وهي الصورة الدجانية التي يكرّمها اليرم اهل لبنان في دير السيدة في بزمار وسعود ان شاء الله الى ذكرها

ولما قتل ابراهيم بطرس راجعاً الى المشرق (في نيسان ١٧٤٣) ليضبط عنان تدبير كنيسته في سيس سمع ان اعداءه اغتتموا فرصة غيبته ليختاروا بطريركاً آخر دخيلاً ووهه عليهم. فسى ابراهيم على قدر طاقته ليميد الكروسي الى صاحبه الشرعي فذهبت مساعيه ادزاج الرياح ولم يبق له الا ان يعود الى لبنان فكن دير السيدة في الكروم وجعل الصورة التي مر ذكرها في كنيسه هذا المقام وتمبدها باقى حياته تمبداً كلياً

وقضى البطريرك ابراهيم ست سنين في دير الكروم تفرغ فيها للمارسة كل التضائل المسيحية مع الرهبان الانطوثيين ومات موت الاربراد في غرة تشرين الاول سنة ١٧٤٩ ودُفن في الكروم بائية لم يهد اللبنانيون بتلها ومن الاعمال الخطيرة التي سعى البطريرك المذكور بنجاحها تثيت الجمعية المكيثارية التي انشأها أحد الارمن الكاثوليك المدعو مكيتار. وولد المذكور في سيواس

سنة ١٦٧٦ واجتمع وهو حديث السن بالآباء اليسوعيين فتعلم منهم عقائد الديانة الكاثوليكية ونبت عندهم اذليل اجداده . ولما بلغ اشدّه جعل يطلب له شاباً من ابناء جلده ليتفرغ معهم الى العيشة الفكيّة فاعده الله على عمله الصالح

وكان البطريرك ابراهيم وقتئذٍ مطراناً على حلب فعرف بقصد مكيتار ونقطة على تحقيق نيّاته الحيريّة . ولما رحل الى رومة لزيارة نائب المسيح طلب من الاب الاقدس تثبيت جميعه فثبته الكرسي الرسولي ببطانته واعطى الكيثارين في البندقيّة دير القديس لاعازر (١٧١٧) . ولهذه الجميّة فضل كبير في تعزيز الكتلثة بين الارمن لاسيما ببطوعاتها المتبرة في البندقيّة وثبته . وقد اشتهر منها قوم من العلماء لا يسما هنا ذكرهم

وفي مدّة فروغ الكرسي البطريركي اجتمع خمسة مطارنة لانتخاب خلف لابراهيم التوتّي . فطلب اليهم الكهنة الذين كانوا بصحبة البطريرك السابق ان يقتنى لهم محل يسكنون فيه ويتعاطون امور مهنتهم دون ان يرتبطوا بالنذور الرهبانيّة كالانطونيين . فلبّي الاساقفة الى دعائهم وتلقوا محلاً آخر فوق دير الشرفة يعرف بيزمار (اطلب صورته ص ٥٤) . والعلما يشترّون اسم هذا المكان من « بيت ذمّر » اي بيت الزمارة . قيل ان فيه اقام الفينيقيون في الاعصار الفائرة هيكلاً لتضحية الضحايا وتقدّم البخور والتمير اكراماً لمبودهم العظيم تومز (Adonis)

ولما قرّ انتخاب الاساقفة على البطريرك يعقوب بطرس الثاني في ١٤ تشرين الاول شرع في تأسيس دير بزمار وانتقل اليه هر والكهنة غير القانونيين وسكنه معهم وفيه توتّي سنة ١٧٥٣ لكنّه دُفن في الكرم

اماً الرهبان الانطونيون فقروا في ديرهم القديم مدّة ثم استبدلوه بدير بيت خشبو قرب غزير ولم يزالوا قاطنيه الى سنة ١٨٨٥ فماد الرهبان الى الاستانة (ستأتي البقيّة)

